



في نظام الأسرة الكائن البيولوجي أو الوحدة البيولوجية (الطفل) يتكوّن في نموه وتطوره في نفس الوقت وبشكل متتابع في ثلاثة عمليات نمو وتطور: الثقافية، التنشئة الاجتماعية والانضادية-الفرديّة. الأهل فيما بينهم (الأب والأم) يتوافقوا ويوجهوا هذه العمليات من خلال عملهم التربوي مع أولادهم.

هذه العملية التربوية ضمن الأسرة لها خاصة عملية بسيطة ومباشرة وعادية من كونها عملية مدروسة ومنظمة وموجهة ومحددة بشروط معينة. كل عضو من أعضاء الأسرة يشعر بأن لديه حاجة لتبليتها وتحقيقها، لأن في غالب الأحيان الأهداف التي تتحقق في الأسرة هي الأساس الرئيسي لحياة الإنسان في أي مجتمع كان، ومن هنا القاعدة الأساسية والرئيسية بأن كل جيل جديد من الضروري أن يتعلم من جديد كيفية العيش والتفاعل فيها. في أحد المناسبات قيل لغاندي "الآن غيرت أفكارك التي قلتها في الأسبوع الماضي، فقال لأنني في هذا الأسبوع تعلمت أشياء لم أكن أعرفها في الأسبوع الماضي". الحياة الأسرية بكل تأكيد هي الوحيدة التي تمكن أن تعطي أعمق المشاعر لحياة الإنسان الإنسانية. من هذا المنطلق وبناء على كل ما ذكرناه سابقاً عن الأسرة نستطيع هنا أن نؤكد على دورها الأساسي والرئيسي في تربية وتنشئة أولادهم لحياة زوجية سعيدة، لأن الطفل الذي عاش وترعرع، تربى ونشأ في أسرة تسودها علاقة زوجية سعيدة قائمة على أساس التقبل والاحترام والتسامح وتحمل المسؤولية من قبل الأهل (الزوجين) من المتوقع ونسبة كبيرة جداً أن تكون حياته الزوجية المستقبلية حياة سعيدة ومستقرة. هذه الوقائع أخذها المجتمع الأوروبي بعين الاعتبار وخاصة في رسم اتجاهات تربوية-نفسية جديدة للأهل على بناء علاقة أسرية زوجية سعيدة وهذه الاتجاهات موجهة أيضاً نحو تربية أولادهم (بنين وبنات) لحياة زوجية سعيدة قاعدتها الأساسية والرئيسية الحب والاحترام المتبادل مع تحمل كل المسؤولية تجاه الفريق الآخر. من أجل ذلك قامت بعض الهيئات الدينية بالقيام بدورات خاصة للخاطبين والذين قرروا الدخول في الحياة الزوجية المشتركة. الهدف الأساسي من هذه الدورات كان بمحتواها ومضمونها إعطاء كل المعلومات الأساسية والضرورية لبناء العلاقة الزوجية المستقبلية على أساس علاقة مقدسة والعمل على استمراريتها الدائمة. عند الحديث عن الأسرة ودورها الأساسي في هذا المجال المتعلق بالتربية والتنشئة الصحيحة والسليمة لأولاد لبناء علاقة زوجية مستقبلية سعيدة، من الضروري جداً أن نلفت النظر هنا على أهمية هذه التربية والتنشئة التي من المفروض أن تكون بعيدة عن الأزواجية في تربية الابن والبنت التي نشاهدنا في أكثر الأحيان موجودة في مجتمعنا. في أغلب الأحيان نسمح للابن ما نسمحه للبنت. البنت تخضع لتربية صارمة وخاصة بالنسبة للعلاقة مع الرجل (في أغلب الأحيان يكون بالتخويف منهم) وهذا ما يشكّل عند البنت نظرة سلبية تجاه الرجل، والابن يخضع لتربية متسامحة بحيث يحق له بعض التجاوزات التي لا تحق للبنت وعلى أساس أنه هو رجل. هذه الأزواجية خطيرة جداً لأننا جميعاً نتناسى أن الحياة الزوجية حياة مشتركة بين الرجل والمرأة وهذه الحياة يجب أن تكون مبنية على ما اسميه أنا بالثالوث المقدس وهو (التقبل والتفاهم والتسامح) وهذا الثالوث المقدس يجب أن يكون القاعدة الأساسية في تربية وتنشئة الأسرة لأبنائها (عن هذا الثالوث المقدس سنتحدث لاحقاً).

لاشك في أن الحياة الزوجية السعيدة والسوية تساعد كلا الشريكين في الشعور بالتوافق النفسي، وتتيح لهما فرصة تبني أنماط سلوكية إيجابية ومقبولة دينياً واجتماعياً. الأهم أنها تساهم بفاعلية في اكتشاف الذات واستخراج الطاقات الكامنة وتنظيمها في سياق أسري مترابط يعطي الحياة الزوجية أجمل معانيها. لبناء علاقة زوجية سعيدة ومستقرة نستطيع أن نستعين ما جاء في الكتاب المقدس بهذا الشأن: أيها النساء أخضعن لرجالك كما للرب، لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة. أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها. على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم، من يحب امرأته يحب نفسه. الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره.

بعد هذا العرض البسيط عن الأسرة ودورها وأهميتها في التربية والتنشئة الصحيحة والسليمة لأبنائها وتهينتهم لحياة زوجية سعيدة ومستقرة نستطيع أن نجيب عن تساؤلاتنا التي تم طرحها في البداية عن تفضي ظاهرة الطلاق في مجتمعنا وكيف يجب أن نعمل على الحد منها والوصول بها إلى أدنى المستويات أو الحالات الضرورية المنفردة. نحن لسنا مع الطلاق ونجده من أسوأ الحلول أو الاختيارات الموجودة أمامنا بسبب كل السلبات التي ترافقه فيما بعد، وخاصة إذا كان هناك أولاد في العلاقة الزوجية. نحن واثقين بأن هناك مشاكل تعترض الحياة الزوجية في مسيرها واستمرارها، ولكن نحن بنفس الوقت واثقين بأن لهذه المشاكل مهما كانت صعبة ومعقدة حلول مناسبة وهذه الحلول تتطلب منا فقط بعض التفهم والتقبل والصبر. مع العلم بأننا واثقين بأن هناك بعض الحالات التي أهملت من المعالجة المناسبة والصحيحة وهي في بدايتها حتى أنها تفاقمت وتعقدت وابتعدت كل من الزوجين عن الآخر فليس هناك من حل مناسب في هذه الحالة إلا الطلاق، ولكن من المحبذ أن نستطيع في هذه الحالة الفريدة والمعقدة أن نعمل كل ما بوسعنا واستطاعتنا أن تكون نتائج هذا الطلاق وتأثيرها أقل ما يمكن على المعنيين الخاصين به من الزوجين والأولاد. من خبرتنا السابقة والطويلة في هذا المجال نستطيع أن نتحدث عن أهم المشاكل والصعوبات التي من المحتمل أن تعترض الحياة الزوجية في مسيرها الحياتي المشترك وكيفية التعامل معها، وإيجاد الحلول والخيارات المناسبة لتفاديها أو التخلص منها لتبقى الحياة الزوجية في مسيرها الصحيح والسليم والذي يعود للزوجين بالحياة السعيدة المشتركة، وأن نحول المقولة المشهورة التي نسميها في أغلب الأحيان من أحد الزوجين:

"لا أستطيع العيش مع هذا الحب ولكن لا أستطيع العيش بدونه" وتحويلها إلى:

"لا أستطيع العيش إلا مع هذا الحب ولا أستطيع العيش بدونه".

المشاكل الزوجية التي تعترض الحياة الزوجية كثيرة ومتنوعة، ومن الصعب جداً أن نستطيع بشكل بسيط أن نقوم بتعدادها، ولكن بشكل عام ومن أجل أن نعالج هذا الموضوع بشكل بسيط وسهل ومفهوم للقراء الكرام، ومن وجهة نظرنا نستطيع أن نصنفها في عدة ميادين مختلفة مع الإشارة بأنها هي متشابهة

التأثير المتبادل مع بعضها البعض ومنها من يكون السبب أو النتيجة وفي بعض الأحيان تكون النتيجة سبب لمشكلة أخرى. ومن أهم هذه المشاكل:

- (1) اختيار شريك الحياة الزوجية غير المناسب،
- (2) الافتقار إلى الرضا الجنسي والرضا النفسي في العلاقة الزوجية عند أحد الزوجين أو كليهما،
- (3) الخيانة الزوجية (تدخل شخص ثالث في العلاقة، أي نشوء علاقة عاطفية مع شخص آخر من قبل أحد الزوجين أو كلاهما)،
- (4) الطلاق العاطفي (الصمت الدائم بين الزوجين)
- (5) التدخل الدائم من قبل أقرباء الزوجين وخاصة أهل في العلاقة الزوجية، أو قوة ولاء أحد الزوجين لأسرته وللروابط الأسرية السائدة في أسرته،
- (6) تغيرات هامة ومؤثرة في بنية الحياة الزوجية الأساسية وهي تشمل:

- توقعات غير واقعية عن الزواج والعيش المشترك مما كانت عليه قبل الدخول في الحياة الزوجية،
- تغيير الروتين المعتمد والمعروف وظهور الصعوبات حول (ولادة الطفل، ولادة طفل ذات حاجات خاصة، الحمل المفاجئ، ممارسة تربية الطفل، ظهور مرض ما مزمن عند أحد الزوجين أو الطفل وغيرها)،
- اختلافات قوية في أنظمة المعتقدات، العادات والتقاليد لدى الزوجين، أو وجود صراعات قوية ودائمة في إنشاء أو تطبيق بعض أساليب العيش أو الحياة الحرة،
- تغير الأدوار كنتيجة للتغيرات أو التأثيرات الاجتماعية (عمل الزوجة، تقاعد أحد الزوجين، البطالة)،
- الضغوط المالية والاقتصادية وعدم القدرة على تلبية الرغبات أو الحاجات أو الاهتمامات الخاصة،
- الأعمال الجانحة أو التورط في انتهاك القانون من قبل أحد الزوجين،
- الإدمان على المخدرات أو الكحول أو الميسر عند أحد الزوجين أو عند الزوجين سوياً،
- خلافات أو صعوبات أخرى خفية تكشف في عملية الإرشاد والمعالجة النفسية فقط.

(7) الفرق في الدين.

(1) اختيار شريك الحياة غير المناسب

هذه المشكلة من أهم وأخطر وأصعب المشاكل التي من الممكن أن تعترض الحياة الزوجية المشتركة، وتبدأ المشاكل عندما يكتشف أحد الزوجين أن اختياره لشريك حياته كان خاطئاً وهناك صعوبة كبيرة أمامه في الحل المناسب والصحيح أمام اختياريين صعبين لا بديل لهما وكل منهما له سلبياته الكبيرة وغير المتوقعة للحياة الزوجية المشتركة، وهذين الاختيارين هما:

- (1) الطلاق والانفصال من الحياة الزوجية المشتركة،
- (2) البقاء في هذه الحياة الزوجية المشتركة والقبول بالواقع الحاصل.

كيف يمكن الإفلات أو الخروج من هذه الحالة؟ في البداية الجواب عن هذا السؤال يكمن في موضوع أساسي ورئيسي يطرح نفسه، وهو الموضوع الذي يشغل بال وفكر الكثيرين من القادمين على إقامة علاقة عاطفية وخاصة علاقة زوجية بشكل سؤال مهم جداً ونستطيع أن نلخصه بما يلي: كيف نختار الشريك المناسب؟ كيف نعرف بأن هذا الاختيار كان هو الأفضل والمتالي الذي نحلم به؟ هذا السؤال حاولنا طرحه على جلسة حوار ومناقشة مع طلاب قسم الإرشاد النفسي- السنة الخامسة في كلية التربية في جامعة البعث في حمص. إجمالاً دارت المناقشة حول المواصفات (كما هم أطلقوا عليها) وليس المتطلبات على الشكل التالي: الأخلاق الكريمة، العادات والتقاليد التي يؤمن بها، ما هو نمط التفكير الموجود لديه، مظهره الخارجي، جماله، ثقافته، دينه. وبشكل عام نستطيع أن نصنف هذه المواصفات على الشكل التالي:

- أن يكون/ تكون ذا شخصية قوية قادرة على المناقشة وإبداء رأيه وفرضه
- أن يكون/ تكون من مستوى اجتماعي جيد، أي منفتح وذات مكانة اجتماعية،
- أن يكون/ تكون ذات الالتزام الديني وأن يمارس الواجبات الدينية المطلوبة،
- أن يكون/ تكون ذات ثقافة ومستوى تعليمي جيد وشهادة أكاديمية،
- أن يكون/ تكون على مستوى من الجمال المطلوب ولكن ليس هذا بالمقام الأول وليس في المقام الأخير،
- أن يكون/ تكون ذات سمات شخصية مميزة ومعينة مثل: (الصدق، الأمانة، الحزم والقدرة على اتخاذ القرار المناسب، التفهم، الثقة، الحرية، الديمقراطية، الكرم وعدم الأنانية، القدرة على تحمل المسؤولية)،
- أن يكون/ تكون خالي (ة) من الأمراض الوراثية والسلامة الجنسية.

